

أوزان الشعر

٣- الشعر العربي

للدكتور محمد مندور

حتى تختلف مع الخليل ، وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام وهي المقطع . وأكبر ظني أن الخليل لم يعرف العروض اليوناني وإلا لظن إلى المقطع ، وإن يكن قد علم فيما ترجح بالموسيقى اليونانية بفرعها : (علم الإيقاع La rythmique وعلم الانسجام Les harmoniques) . والعروض اليوناني كما هو معلوم يقوم على المقطع ، والسبب الذي منع الخليل من الوقوع على المقطع مزدوج فيما أظن :

١ - عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة voyelles brèves التي نسميها حركات (الفتح والضم والكسر) في صلب الكتابة العربية التي لا تزال إلى اليوم مقطعية إلى حد بعيد ، بمعنى أننا نكتفي برسم الحروف الصائتة ، وأما الصائتة فلا نكتب إلا العاويل منها (الألف والواو والياء) . فكتابتنا وسط بين الكتابة الفينيقية والكتابة الإغريقية ، ومن الثابت تاريخياً أن الإغريق عند أخذهم بالكتابة الفينيقية قد أضافوا إليها رسوما خاصة للحروف الصائتة كلها طويلة وقصيرة . وأبني على ذلك أن الخليل لم يظن إلى أن الحروف الصائتة القصيرة تكون مع الحرف الصامت Consonne الذي توضع فوقه حركة مقطعية تاماً مستقلاً . ولهذا اكتفى في تقطيع التفعيل بالحروف التي تكتب مميزاً بينها بالحركة والسكون .

لبس من شك في أن الخليل بن أحمد كان رجلاً عبقرياً تفخر به مع من تفخر بهم من أجداد . ولكن العلم لا يعرف الوقوف ، ولقد تقدمت الدراسات اللغوية تقدماً يحملنا على أن نطرح إلى معرفة أدق من معرفة الخليل بالمناصر الموسيقية في شعرنا العربي .

والذي لا شك فيه أن الخليل قد وضع حقيقة أساسية في الشعر العربي لا نستطيع أن نغفلها ، وهي انقسام كل بيت إلى تفاعيل متساوية ، كما هو الحال في الرجز والهزج وغيرها ، أو متجاوبة (التفعيل الأول يساوي الثالث والثاني يساوي الرابع) كما هو الحال في الطويل والبسيط وغيرها . وهذا التقسيم من أسس الموسيقى والشعر عند الأوربيين اليوم ؛ فهناك وحدات موسيقية متساوية isometriques وأخرى متجاوبة symetriques كما وضع الخليل .

ولكننا لا نكاد نترك وجود التفاعيل إلى بنية تلك التفاعيل

بتلاييننا في ذلك العهد الرجمي الأسود لا أعاده الله ... ومع ذلك فنحن ما زلنا نقول إن العقاد خيب آمالنا فيه ، وعسى أن يسعدها إن شاء الله ، أما أن تقول إنه لا شأن له بالشعر ، فتكون مجانين - نحن فقط دون تعريض بأحد - إذا لقونا بذلك مع من يلقون به ...

والعقاد على هذا من « الشعراء الكبار الذين يعجبوننا » كما زل قلم السيد مندور في مقاله ليسجل على نفسه الداعي الذي دعاه إلى كتابة ما كتب . وفرق بين أن يتفقه المرء في أغراض الشعر ، وبين أن يكون شاعراً ، أو أن تكون له موهبة تذوق الأشعار وإصدار الأحكام عليها -

وسأخذ قريباً إن شاء الله في نشر دراسات هادئة لكثيرين من الشعراء المصريين شبيهم وشبابهم لنبصر الذين كفروا بأجناد الوطن بما ضلت أعينهم عن إدراكه من آيات العبقرية المصرية وبعد ... فإني أعتذر للقراء عما فرط به القلم من لغو القول في هذا الحديث ولن أرد على لغو آخر قط .

ومنى فسيحة

أحكامه « المائمة ١ » كما عبر عنها مناظره الأستاذ المروف ، والتي يصدرها في غير رمي لهدم أمجاد شعرائنا والعقاد ومدرسة العقاد في مقدمتهم ... الدكتور مندور هو الذي قال : إن العقاد لا شأن له بالشعر ، وهو قول يكفى للرد عليه أن تقول ما قلنا ، لأن الذين يقولون هذا هم قوم لا بصر لهم بالشعر حقاً ، بل ربما كان الأفضل ألا يكون لهم شأن بالشعر على الإطلاق ... نقولها اليوم صرخاء بعد إذ كنا نلمح فيها تلميحاً عسى أن ترعوى تلك الطائفة من الكتاب الذين لا هم لهم إلا هدم شعرائنا الذين نعتز بهم جميعاً وبلا استثناء لأنهم أعز علينا من ألف كاتب فج من أمثالهم ... ونحب أن نطمئن قراءنا وأن نطمئن الصديق الحميم الأستاذ مندور ، فنحن لم نر العقاد في حياتنا إلا مرة واحدة في ماتم ، ولسنا نطمع في صداقات جديدة بعد الذي بلوناه من صداقة السيد مندور ، ولكننا مع ذلك نعرف العقاد ونقرأه من نحو ثلاثين عاماً وقد كتبنا عنه سنة ١٩٣٠ ، إذ هو سجين في ذلك الوقت ، مقالاً تحفل منه الإبالسة ، بالجملة الجديدة قدرنا فيه العقاد الشاعر والعقاد الكاتب ، مما كان سبباً في الأخذ

واللام مثلاً ، فهذه من الممكن أن نحد في نقطتها كما نشاء . وإذن فالقطع المثلث نعتبره طويلاً

ونخلص من هذا إلى وجود مقاطع في اللغة العربية . وهذه المقاطع تختلف في كمها . فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربي كمي بمعنى أن كل تفعيل فيه يتكون من مقاطع مختلفة الكم بنسب محددة ؟

ذلك ما رآه المستشرق إwald وقد وضع للشعر العربي عروضاً على غرار العروض اليوناني وهو عروض مستقيم سهل الفهم مبسط عن عروضنا تبسيطاً كبيراً . ولقد درسناه في العام الماضي للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه . ويستطيع القارئ أن يجده في الجزء الثاني « من قواعد اللغة العربية » Arabie Grammar للمستشرق الشهور ريث Right ، ولكننا مع ذلك لا نقر إwald ومن يحاكيه من عامة المستشرقين في اكتفائهم برد العروض العربي إلى المقاطع السكية كما هو الحال في العروض اليوناني واللاتيني ، وذلك لأنهم لم يبصرونا بالإيقاع Rythme ؛ قالكم كما قلنا لا يكفي لإدراك موسيقى الشعر بل لابد من الارتكاز الشعري الذي يقع على كل تفعيل ويعود في نفس الموضع على التفعيل التالي وهكذا . واقد كان للخليل على المستشرقين ميزة الإحساس بهذا الإيقاع فتتابع الحركة والسكون على نسب محددة بوضوح ذلك الإيقاع ولا كذلك تتابع المقاطع المختلفة الحكم .

محمد مندور

(السلام بقية)

٢ - السبب الثاني هو أن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تغلب فيها الحروف الصامتة فيما يرجح ، وتلك الحروف يقع منها عادة الوقف ، أي السكون ، ولهذا لاح للخليل أن تتابع إنما يقع في الحركات والسكنات ، بينما نجد في لغة كاللغة اليونانية أن الحروف الصائتة هي الغالبة ، ولهذا لا نحس فيها بالسكنات الموجودة في اللغة العربية ، بل نحس فوق كل شيء باختلاف كم الحروف الصائتة في تتابعها .

هذان السببان لا يجوز أن يحجبا عنا الحقيقة اللغوية التي تصدق على كل لغة وهي أن المقطع هو وحدة الكلام . وفي اللغة العربية أربعة أنواع من المقاطع هي : (١) المقطع القصير المفتوح ، وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت قصير (حركة) مثل المقاطع الثلاثة في كَتَبَ (٢) المقطع الطويل المفتوح وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت طويل (ألف أو واو أو ياء - حروف اللين) مثل « كا » في كانت (٣) المقطع الطويل المزدوج وهو المكون من حرف صامت وحرفين صائتين مثل « بَي » bai في بيت مع احتفاظنا بالناقشة العملية التي تدور حول طبيعة الياء في هذا المقطع أم هي صائتة أم صامتة (٤) المقطع المغلق وهو المكون من حرف صامت ، ثم حركة لحرف صامت آخر نحو « تُن » في بيت والحرف الصائت في هذا المقطع قصير دائماً ؛ فهذا قانون هام من قوانين اللغة العربية وليس له استثناء إلا في حالات محصورة أهمها حالات الوقف على الإسم المنون مثل « نار » ؛ فهي تتكون في هذه الحالة من مقطع واحد مغلق حرفه الصائت طويل ، وكذلك الوقف في حالي التثنية والجمع مثل محمدان ومحمدون ، فالقطع « دان » والمقطع « دون » كل منهما حرفه الصائت طويل ، وإذن فالقانون العام هو قصر الحرف الصائت في المقطع المغلق ؛ فهل نعتبره مقطعاً طويلاً أم قصيراً ؟ الواقع أنه مقطع طويل ويأبى الطول من الزمن الذي يستغرقه الحرفان الصائتان ؛ فهذا الزمن لا بد من حسابه وإن لم يحسبه علماء العروض الإغريق واللاتيني . ولقد أثبت البحث الحديث أنه من الواجب أن يحسب كم الحروف الصامتة في كافة اللغات ومن باب أولى في اللغات السامية حيث تغلب تلك الحروف . ثم إنه إذا كان في كافة اللغات حروف آنية momentanées كحروف الانفجار (باء وفاء مثلاً) ؛ فإن هناك حروفاً متباعدة continues كالسين

وزارة الصحة العامة

المراقف العامة

مصلحة الشؤون القروية

تقبل المعطيات لغاية ظهر يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣ عن عملية إنشاء حوضين لتفصيل الخضروات أحدهما بمهشة والآخر بالمطرية ويقدم الطلب على ورقة تمغة فئة ثلاثين مليماً للحصول على الشروط والمواصفات من المصلحة نظير دفع ١ جنيه بخلاف مائة مليم أجرة البريد .

١٩٤٣